

نظرتنا الحية للحزب

سمعتم أيها الاخوان رفيقكم يقول: ^(١) ان حركة البعث العربي الاشتراكي أصبحت في بلاد العرب شيئا لا يمكن نكرانه . وأستطيع ان أقول بأن حركتنا أصبحت قدر العرب في هذا العصر . والحق اننا آمننا بذلك منذ اليوم الاول الذي انطلقت فيه هذه الحركة . ولعل الشباب الذين دخلوا حديثا الى الحزب لا يستطيعون أن يستوعبوا المرحلة التأسيسية وما رافقها من ايمان وثقة واندفاع ، وهم قد أتوا الى الحزب بعد أن سجل كثيرا من المواقف وخاض كثيرا من المعارك ، لذلك يحسن بهم أن يعرفوا ان كل ما يقوم به الحزب الآن وما يمكن أن يقوم به في المستقبل ليس الا تحقيقا لذلك الايمان الاول ، ذلك الايمان الذي لن نستطيع الاستغناء عنه في يوم من الايام حتى بعد ان يسيطر حزبنا على قدر امتنا ، فهو الشرط الاساسي وهو الدعامة المتينة لحركتنا . وجدير بالشباب أن يستلهموا دوما هذا النبع الروحي وأن يعرفوا ان الذين استطاعوا أن يسجلوا شيئا في هذه الحياة ، أن يسجلوا شيئا في التاريخ ، هم الذين كان لهم ايمان الابطال واستطاعوا أن يحفظوا في أنفسهم براءة الاطفال وقوة اندفاعهم نحو المثل دون أن يعيروا للمصاعب ولضغط الوسط اي اهتمام .

لقد جاء حزبنا متجاوبا مع يقظة في الروح العربية ، مع حاجة عميقة في روح امتنا الى الانطلاق وإلى الخلق ، فلا يجوز ان ننظر الى الحزب الا نظرة حية : انه يجب دوما أن ينطلق ويجدد ويخلق وفي انطلاقه وتجده وخلقه يستطيع أن يصلح نفسه ويظهر ما قد يعلق به من ادرا .

اياكم والنظرة الجامدة التي لاتفهم سر الحياة وكنه الحياة ، فليس من عمل جدي يؤثر في الواقع ويخلق منه واقعا جديدا الا ويكون هذا العمل عملا فيه ما في البحر الواسع المتحرك من شوائب ، فاذا اردتم عمل حزبكم تاريخيا فليكن كالبحر لا كالساقية الصافية ، فمن السهل أن تكون حركتنا ساقية صافية ولكنها لن تروي امة ولن

(١) حديث مع وفد البعث من لبنان عند زيارته لمقر الحزب في دمشق .

تصنع تاريخاً. ففي الحزب كثير من النقص، وبين ما تحقق وبين ما نرجو أن يتحقق فارق كبير، ولكننا نستطيع أن نقرب من مثالنا إذا نحن تابعنا السير، إذا ضاعفنا

الهمة، لا إذا وقفنا وحولنا حيويتنا الى نقد جامد وتفكير نظري، فالحياة لا تعرف التوقف وتيار الحياة تيار مبارك طاهر مهما تكن الشوائب التي تعلق به.

وإذا وجب أن أدعوكم الى المزيد من النشاط والاستبسال والتضحية في سبيل حركتكم التي أصبحت كما قلت، قدر الامة العربية، والتي لا يمكن لأي حركة اخرى أن تنافسها او ان تحتل مكانها، اذا وجب ذلك فيجب ان انبه الى ناحية اخرى، بأنه بقدر ما تتوسع الحركة، وبقدر ما يتسع نطاقها ويكثر عدد أعضائها يصبح واجب الفرد فيها أكبر من ذي قبل. فكل حركة، وهذه طبيعة الحركات الاجتماعية وطبيعة المجتمعات، معرضة لأن تفقد من عفويتها، من حريتها، من أصالتها، وأن تغطي عليها الشعارات التقليدية، أن تغطي عليها الالفاظ، ان تصبح صنما، فليس الاشخاص هم الذين يصبحون أصناما فحسب، فقد تصبح الحركة صنما وقد تصبح أفكارها أصناما، وهذا شر ما يمكن أن تبثلى به حركة تريد أن تخلق وتبدع.

المجموع له قانون، وكل جمع مدفوع بطبيعته، بغريزته، إلى تمجيد الظواهر والشكليات والعناوين والالفاظ والصفات العامة، لأن الجمع ليس له اهداف الفرد وحساسيته وقدرته على التعمق. فاذا أردنا أن نتابع حركتنا مراحلها بكل صدق وأمانة دون أن تبسّر أو تختصر، دون أن تتجمد وهي في نصف طريقها، وأن تعطي كل ما فيها من امكانيات الخير، اذا أردنا أن يحصل كل ذلك علينا ان نقدر دور الافراد. فالافراد هم الذين لا يستعبدهم الجو الجماعي، هم الذين يحتفظون بحريتهم، باستقلال تفكيرهم، بصفاء نفوسهم حتى ولو كانوا مشاركين في اندفاع المجموع. هم الذين ينشدون المعنى وراء اللفظ يبحثون عن الشيء الحي وراء التعبير العام. هم الذين يرجعون الى الصمت كثيراً ويكون كلامهم وعملهم وليدا لصمت مثمر منتج، هؤلاء هم الرقباء على الحركة، هم الذين يصححون كلما كادت تتردى في السطحية وفي التقليد، هم يخلقون التوتر في الحركة كلما ضعف هذا التوتر الداخلي، لاننا لانستطيع أن ننكر ان مجتمعنا يحمل أوزارا كثيرة ثقيلة من عصور

الانحطاط والتأخر، واننا ان لم نلح كثيرا عليه لكي تكون يقظته أصيلة وانبعائه انبعائاً عميقاً فانه يميل بطبيعته الى أن يختتم هذه المرحلة البطولية قبل اوانها، وان يقول ان امنا بكم وبحركتكم، وان يدين لنا بالطاعة والموافقة قبل أن نكون قد استخرجنا من داخل امتنا كل الكنوز الروحية .

لابد من زيادة التوتر والصراع، لابد من الدفع الدائم ومحاربة كل كسل وكل ميل للراحة وكل محاولة لانهاء النضال او اختصاره، وهذا كما قلت من عمل الافراد، لانهم هم الذين يشعرون بهذا الخلل وهم الذين يثور ضميرهم عندما يرون الحركة قد انسقت وراء الشعارات الاصطلاحية وجعلت كل ايمانها في ترديد الكلام والالفاظ أو تمجيد قيم هي جديدة، ولكننا اذا لم ننفخ الروح فيها يوماً بعد يوم فانها ستكون كالقيم القديمة سواء بسواء .

اذكروا دوما ايها البعثيون الاشتراكيون بأن رفاقا لكم قبل عشر سنوات أو أكثر كانوا في سنكم الشابة هذه والتفوا حول رفاق سبقوهم في السن ودعوهم الى عمل تاريخي فلبوا الدعوة، في ذلك الوقت آمن هؤلاء الشباب بأنهم سيصنعون تاريخاً للأمة العربية وانهم سيكونون الجنود المحاربين والشهداء لنهضة عربية أصيلة تغذي الانسانية جمعاء . فلا تقبلوا دون هذا الهدف بديلاً ولا تقبلوا الا ان تكون النهضة العربية تاريخية تستخرج أعماق ما في النفس العربية من كنوز وانسانية أصيلة .

نحن حزب سياسي، لا جدال في ذلك، ولكن السياسة وسيلة، وقد أردنا أن نقول منذ البدء لشعبنا وللجيل العربي الجديد اذ عرفنا حركتنا بأنها حزب سياسي أردنا أن نقول لهم هذا هو الواقع فلا تتلهوا بالخيال ولا تنسحبوا من مواجهة الحقائق القاسية، فالسياسة هي أكثر الامور جدية في المرحلة الحاضرة . ولكننا اذا قصدنا ان نلح على واقعية نظرتنا في مواجهة الواقع في كل معناه ومواجهة المسؤوليات العملية بكل قسوتها، فليس معنى هذا ان السياسة غايتنا . السياسة هي امتحان لمثاليتنا: هل هي مثالية العاجزين الذين يرصفون الاوهام، أم هي المثالية الحية العملية لمن يريد أن يخلق وان يعمل . لذلك جعلنا السياسة امتحاناً للايمان والمثالية، ولكنها لم تكن غاية في حال من الاحوال . حركتنا هي حركة بعث بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى

-بعث في الروح والفكر والاخلاق والانتاج والبناء وفي كل هذه المؤهلات والكفاءات العملية . واذا تذكرنا دوما بأن رسالتنا ليست أقل من ذلك وبأننا قد نتعرض بين الحين والآخر الى أن نركز عملنا على الجزء وننسى الكل ، ان ندوب في الفرع ونبتعد عن الاصل ، فان الافراد الواعين الحساسين فيكم ، هم المسؤولون والمطالبون بأن يعيدوا الدعوة الاولى وان يذكروا اخوانهم لكي يعود الصراع الداخلي في نفس كل فرد من أعضاء البعث ، لكي يأتي هذا البعث بعثا أصيلا ، ولكي نكون في مستوى القدر الذي اختارنا لتلبية حاجات امتنا واختار الامة العربية لتكون في المواقف الحاسمة في التاريخ منقذا وهاديا .

نيسان ١٩٥٥